

فتح القدير

ثم أمر الله سبحانه ونبيه ﷺ أن يأمرهم بطاعة الله ورسوله فقال : { قل أطعوا الله وأطعوا الرسول } طاعة ظاهرة وباطنة بخلوص اعتقاد وصحة نية وهذا التكرير منه تعالى لتأكيد وجوب الطاعة عليهم فإن قوله : { قل لا تقسموا طاعة معروفة } في حكم الأمر بالطاعة وقيل إنهم مختلفان فال الأول نهي بطريق الرد والتوبخ والثاني أمر بطريق التكليف لهم والإيجاب عليهم { فإن تولوا } خطاب للمأمورين وأصله فإن تتولوا فحذف إحدى التاءين تخفيفا وفيه رجوع من الخطاب مع رسول الله ﷺ إلى الخطاب لهم لتأكيد الأمر عليهم والمبالغة في العناية بهدايتهم إلى الطاعة والانقياد وجواب الشرط قوله : { إنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم } أي فاعلموا أنما على النبي ما حمل مما أمر به من التبليغ وقد فعل وعليكم ما حملتم : أي ما أمرتم به من الطاعة وهو وعيد لهم كأنه قال لهم : فإن توليتم فقد صرتم حاملين للحمل الثقيل { وإن طباعوه } فيما أمركم به ونهاكم عنه { تهتدوا } إلى الحق وترشدوا إلى الخير وتفوزوا بالأجر وجملة { وما على الرسول إلا البلاغ المبين } مقررة لما قبلها واللام إما للعهد فيراد بالرسول نبينا ﷺ وإما للجنس فيراد كل رسول والبلاغ المبين : التبليغ الواضح أو الموضح قيل يجوز أن يكون قوله : { فإن تولوا } ماضيا وتكون الواو لضمير الغائبين وتكون هذه الجملة الشرطية مما أمر به رسول الله ﷺ أن يقوله لهم ويكون في الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة والأول أرجح ويعيده الخطاب في قوله : { وعليكم ما حملتم } وفي قوله : { وإن طباعوه تهتدوا } ويعيده أيضا قراءة البزي { فإن تولوا } بتشديد التاء وإن كانت ضعيفة لما فيها من الجمع بين ساكنين